النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

« بيان » تضليلي ...

* * *

صدر بتوقيع « جميل جبر ، ممثل المنظمة العالمية لحرية الثقافة في بيروت » بيان مطول تحدث فيه عن نشاط المنظمة اثر ما وصفه بـ « الحملة المضللة المغرضة » التي شنتها الصحف والمجلات الوطنية في بيروت ... ومما يثير الابتسام قول البيان ان المنظمة خرجت من هذه الحملة « موفورة الكرامة مرفوعة الرأس » ...

ونحن لا نعرف الدلائل التي تشير الى توفر تلك الكرامة وارتفاع الرأس ، بعد ان اتضح لدى القاصي والداني ما يصدر عن هذه المنظمة من نشاط مشبوه يتخذ في مجلاتها الاجنبية سبيل الدعاية لاسرائيل والدفاع عن الصهيونية ...

وقد استشهد البيان ببعض ما قاله عدد من المشرفين على المنظمة ، ولكن يبدو بوضوح ان ليس فيه اية عبارة ضد اسرائيل او الصهيونية ، مما يؤكد الشبهة القائمة حول ارتباط المنظمة بهما ...

وذكر البيان كذلك مجلة « حوار » التي اصدرتها المنظمة العالمية وقال انها « تستهدف خدمة العالم العربي كله » وانها « تهتم بصورة رئيسية بمعالجة القضايا التي تهم الوطن العربي ، وهي تتبنى هذه القضايا ، ناظرة اليها من زاوية عربية ، ومعالجة لها من الداخل » . ويكفي ان يتصفح القارىء ما صدر من أعداد هذه المجلة حتى الان ليتأكد من ان هذا ادعاء غير صحيح ، فان المجلة لم تعالج اية قضية « حية » تهم الوطن العربي ، بل عالجت بعض القضايا بروح غير موضوعية ، وفي غير الصالح العربي ، ومنها المقال الذي نشرته عن البترول العربي . وكم كان القارىء يود لو استعرضت المجلة بعض هذه القضايا التي تهتم بها ، وذكرت بينها قضية محاربة اسرائيل ومناهضة الصهيونية ... الا اذا كانت تعتقد ان هذه ليست من القضايا الهامة التي تهم الوطن العربي ... والا اذا كانت تعتقدها قضية سياسية فقط .. مع العلم انها نشرت بعض المقالات التي يبدو في الظاهر انها غير سياسية ولكنها في الحقيقة من السياسة في الصميم !

اما ما ذهب اليه البيان من ان الكتاب الذين اسهموا في تحرير « حوار » منهم عدد من ابرز الادباء والمفكرين العرب ... فيحتاج الى تساؤل : هل تجرؤ رئاسة تحرير « حوار » ان تذكر اسماء الادباء والمفكرين العرب الذين رفضوا الكتابة في المجلة ، او لم يردوا على رسائل التكليف ، بالرغم من التعويضات السخية التي عرضت عليهم مقابل الكتابة في تلك المجلة ؟ أليس عدد هؤلاء اضعاف اضعاف عدد الذين كتبوا للمجلة ؟

ترى علام يدل هذا ان لم يكن يدل على اقتناع هؤلاء الكتاب جميعا بأن المنظمة التي تصدر عنها هذه المجلة ليس من اهدافها كما يدعي البيان معالجة القضايا الحية التي تهم العالم العربي ؟

اننا نعرف اسماء كثيرين من الادباء ، من مختلف الاقطار العربية ، رفضوا الاستجابة للمشاركة في التحرير ، سواء كلفوا كتابة او شفاهة .. ونعرف ان المجلة تعاني اشد المعاناة من هذه القطيعة . ونستطيع ان نؤكد ان بعض فروع المنظمة في البلاد العربية ستغلق ويوقف نشاطها ، ولا سيما في الجمهورية العربية المتحدة .

ولعل هذه هي الدلائل التي قصدها البيان على خروج المنظمة من الحملة « موفورة الكرامة ، مرفوعة الرأس » ..

الجمهورية العربية اليمنية

« الحكمة اليمانية » أول مجلة « شهيدة »

* * *

في عام « ١٩٣٧م ـ ١٣٥٧ هـ » صدرت في صنعاء أول مجلة أدبية اسمها « الحكمة اليمانية » .. وجاء اسمها هذا لانها كانت تطبع في مطبعة جريدة الايمان .. بل ولتؤكد ما جاء في الاثر الذي اتخذته كل من الجريدة والمجلة شعارا وهو « الايمان يمان والحكمة يمانية » ومعظم العلماء في اليمن ينسبون هذا القول الى الرسول عليه السلام رغم ان عديدا من علماء الدين العرب لم ينفوا هذا القول أو يؤيدوه ، ومهما يكن فلقد صدرت مجلة « الحكمة اليمانية » أو سمح الامام الطاغية يحيى حميد الدين « العماد » بصدور هذه المجلة بعد ان ألح عليه احد انجاله الذين اشتهروا بالخروج الى خارج اليمن وقضاء أطول مدة في عواصم الخارج ـ وهو «سيف الاسلام» عبد الله الذي تولى «وزارة المعارف العمومية» آنذاك ..

وقد عهد الى احمد عبد الوهاب الوريث رئاسة التحرير كما اشرف عليها بضعة من خيرة العلماء كان على رأسهم احمد المطاع وعبد الواسع الواسعي وزيد الموشكي وعبد الوهاب الشماحي وأحمد الحورش .. وكل هؤلاء دفعوا الثمن .. وعلقت أجسادهم على مذابح الحرية .. لقد ذبحهم الجزار عام ١٩٤٨ وظلت أجسادهم معلقة على الجدران بضعة أيام .. وماتت الحياة الفكرية مؤقتا .

وعندما صدرت « الحكمة » في ذلك الوقت التفت حولها الطاقات الضائعة وانتجت واثمرت .. كانت المجلة تحتضن كل انتاج ناشيء يسير

وفق سياسة المجلة .. وكانت تشجع هؤلاء الناشئين وتدفعهم الى الامام حتى أثمرت في النهاية عديدا من الادباء والشعراء والمفكرين ولكن النهاية المحزنة هدمت كل شيء ..

وصف الوريث مجلة « الحكمة » بانها «مجلة علمية جامعة شهرية» ووضع لها سياسة تقوم على نشر كل ما هو مفيد .. كل ما يتلاءم مع الدعوة الى الشورى ومبادىء الحق والعدل .

« ذلك المبدأ الذي قوامه الاصلاح الديني والاهابة بالمسلمين الى أسباب سعادتهم وعوامل نهوضهم ومجدهم ودعوتهم الى جمع الكلمة ولم الشعب ورأب الصدع وتنظيم الصفوف وتحذيرهم عن التمادي فيخوض بحار التأخر والايغال في بيداء الخمول والاستسلام والقبوع في زوايا الكسل والبطالة ، والنوم على بسط الذلة والمهانة ، والرضا بالعيش الخانع والحياة المرذولة ، وحفزهم الى تحطيم قيود الجهل وتمزيق غشاوة الضلال وتبديد حجب الظلام » . ويمضي الكاتب الى حث الشباب على الكتابة وتدبيج المقالات الرفيعة « والابانة عن خلجات النفوس وجلاجل الصدور ومنتجات الافكار » ثم يعاهدهم على النزاهة والموضوعيةفي نشر ما يصل اليه من نتاجهم « فتنشر ما ترى خيرا في نشره فتزنه بميزان الانصاف » ..

كانت « الحكمة » في عامها الاول مليئة بالكتابات البدائية .. بالاسلوب الغث الموروث عن عصر الانحطاط العثماني .. لكن المجهود كانيبدو فيها واضحا منمحاولةالتنويع فيالمواضيع الى محاولة تعميقها. وعندما دخلت « الحكمة » عامها الثاني اعلن « الوريث » صراحة بأن « أفكار المجلة ستكتب بالاساليب البليغة والبسيطة معا لاننا نحبانتكون صلتها بالقراء أقوى وأشد من ذلك كله ليكون أقرب الى تحقيق غايتها وتنفيذ مهمتها التي حملتها على عاتقها » . كما أعلن الوريث صراحة ان المجلة « ستفتح صدرها لكل ناقد ينبهها الى خلل او يستحسن ما لمتلتفتنحوه او يناقشرايا ترتئيه وتتلقىجميع ذلك بالشكر العميق»(١).

وهكذا عرفت اليمن اول مجلة ادبية تسعى الى هدف .. تشاركفي حمل الرسالة .. في حمل المعول لضرب الفساد الامامي الاستبدادي.. كان « للوريث » أكبر نصيب في هذا المجهود .. لانه طوال تحريره « الحكمة » في العام الاول كان يكتب معظم مواضيعها يشاركه فيها احمد المطاع او يحيى الواسعي ولم تكن صفحاتها لتزيد عن الاربعين ولكنها منذ السنة الثانية تنوعت في افكارها واسلوبها وتنوع كتابها .. وها هي تحتضن انتاج اول شاب يتقدم لها .. ابراهيم الحضراني .. فتنشر له قصيدة بعد ان تقدمه الى القراء .. كانت سياستها كما رسمها الوريث ان تنشر أي انتاج يتلاءم مع سياسة المجلة الداعية الىالشورى والى الاصلاح ولم تكن لتهتم بالاماكن البارزة داخل صفحات المجلة او تخصص مكانا لانتاج الناشئين بل كان ترتيب الموضوعات حسب الاصلح والاقوى فهي عندما تنشر للحضراني قصيدته فانما تنشرها حسب أهمية أبياتها .. حسب مدى تلاؤمها ورسالتها الاصلاحية .. بل انها لتختار له عنوان القصيدة فتجعل العنوان أهم بيت جاء في القصيدة لا من حيث القيم الجمالية بل من حيث الهدف الذي تسعى اليه :

« فاز من شب على ما ... ينفع الشعب وشابا

وتمضي قصيدة الشاب الموهوب على هذا النحو الاصلاحي :

« كل حر قلبه ... مما جناه الدهر ذابا
« كيف لا يؤلم دهر ... خاسر والله وعابا
« جعل السيد عبدا ... جعل الرأس ذنابا
« خاسر من لم يخدم ... الامة والدين وخابا

* * *

« كل شخص غمط الحق ... جدير أن يصابا

(١) « الحكمة اليمانية » ــ العدد الثالث عشر ــ ١٣٥٨ هـ «افتتاحية السنة الثانية » ص ٥ .

« أو ليس الله قد صب ... على العاتي عذابا «(٢)»

وفي « الحكمة » حدثت محاولات فريدة من نوعها ..فعندما دخلت عامها الثاني أدرك الوريث انه لا بد ان يسهم في بناء التراث العربي فحاول أن يؤرخ للامة العربية بما فيها اليمن .. كما حاول ان يؤرخلليمن فحسب .. ولهذا نراه يكتب في موضوعين متتاليين من كل عدد .. عدا الافتتاحية .. فأما الموضوع الاول فقد حاول الوريث ان يبني فيه أساسا للتاريخ العربي يتدرج منذ الايام الاولى للعروبة المحصورة في شبه الجزيرة العربية وكيف انتكست وتبعثرت اجزاء الامة العربية على ايدي الطامعين والمحتلين الغزاة «(٣)» ولم يلبث الوريث ان ادرك انه لا بد من ربط الحلقة الضائعة بين تاريخ الشعب العربي في اليمن ..ماضيه وحاضره ومستقبله خاصة بعد ان بدأ حثالة الفقهاء يتقربون الى « العماد » الطاغية بتاريخ مزيف ليس فيه سوىتسلسل الائمة الهاشميين فحسب .. أو « التاريخ السياسي » ــ كما اسماه الوريث وهو يبرر مقدمته للتاريخ الحقيقي لليمن العربي .. فيقول :

« لقد آن لنا ونحن نرى « الحكمة » تدخل في عامها الثاني ان نفتح فيها بابا للتاريخ اليمني ونعقد له فصولا متسلسلة تظهر قراءها على صور منه وسنبذل جهد طاقتنا ما ساعدتنا المصادر وتوسع صدر الظروف ان تكون طبق اصلها ومثالا صادقا له » «(٤)».

وأدرك الوريث مدى عمق الخطيئة وهم يزيفون تاريخ الشعب أولئك الحثالة من الفقهاء فأخذ يفصل ذلك التاريخ المزيف عن تاريخ الشعب الحقيقي ، وزعم ان ذلك التاريخ المزيف ما هو الا « التاريخ السياسي » .. وقال ضمن ما قال في تبريره لكتابة التاريخ الحقيقي.

« وبعض الناس يزعمون ان التاريخ لا يقتصر الا على الاحوال السياسية فحسب وهذا الوهم جرثومة من جراثيم الماضي المظلم الذيكان لا يرى غير المواقع الحربية والمآسي الدامية وتنازع الاقطار والتكالب على السلطة وتجاذب اطراف البلاد وسفك الدماء وفرقعة الرؤوس وتدمير البيوت ونسف الزروع وارمال النساء وايتام الاطفال وتطاحن المطامع وتصارع الاهواء ووأد الرحمة .. لا يرى غير ذلك جديرا بالذكر ولا أهلا لشيء من العناية والاهتمام » .

ولكن للاسف لم يقدر للوريث ان يسرد الحلقات الضائعة من تاريخ الشعب .. لقد باتت صنعاء كلها تهمس في ألم .. « مات الوريث ».. وتناثرت الشائعات «(٥)» .. مات الوريث في بداية العام الهجري ١٣٥٩ وحزن عليه المثقفون وجمهرة العلماء ذلك الوقت وصدرت الحكمة بعد وفاته وهي تحمل سطورا مفزوعة وقصائد كلها لوعة وأسى على الشاب الذي مات وهو في الحلقة الثالثة من عمره قبل ان يتم بناءه الشامخ الذي بدأه .. وهو « تاريخ الامة العربية » .. صدرت الحكمة بعد ان تولت تحريرها لجنة مشكلة من الكتاب انفسهماطلقت على نفسها اسم « قلم التحرير » وكان يرأس اللجنة أحمد المطاع « مدير مطبعة الايمان ذلك الوقت » وعندما ظهر اول عدد بعد موت الوريث كان العدد معظمه في رثاء الوريث ونعيه .

وهكذا مات الوريث الميتة المشبوهة ولكنه خلف في القلوب جراحا عميقة .. حزنت صنعاء كلها عليه وحزن عليه زملاؤه الاحرار وكاد ان يدهمهم اليأس . ولكنهم سرعان ما صمدوا للكارثة ومضت «الحكمة» تسير قدما يوليها الاحرار كل عنايتهم فنجد ان احمد المطاع يحاول ان

(٢) نفس المصدر المتقدم ص ٢٧ .

(٣) نفس المصدر المتقدم «الحكمة» السنة الاولى ــ العدد الثالث.

(٤) نفس المصدر ــ العدد رقم ١٤ ــ السنة الثانية ــ بعنوان نظرة اجمالية في الاحوال الدينية والعلمية ، ص ٩ .

(٥) اختلفت الاقوال .. فقد اخبرني الاستاذ محمد محمود الزبيري ان الوريث مات غيلة وغدرا واشرف على قتله سيف الاسلام عبد الله بينما زعم علي المؤيد « من اعوان الامام » ان الوريث مات موتا طبيعيا .

يتمم ما بدأه الشهيد الوريث من سرد للبناء التاريخي الشاهق .. تاريخ الامم العربية «٦» مازجا الدين بالعروبة مؤكدا « انه لا توجد كالعرب أمة من الامم التي تحررت وعملت على ايجاد كيان مستقل لها .. يا لروعة الماضي ولرحابة المستقبل وفساحته » .

وأما الموضوع الثاني الذي كان الوريث قد بدأه ولم يقدر له اكماله فقد حاول اتمامه عبد الله العزب فحاول ان يمزج بين التاريخ الحياتي للشعب وبين آدابه وعلومه ولكنه قدر له ان يمضي ساردا التاريخ الادبي العربي بنجاح.

ولقد عرفت « الحكمة » لونا من المراجل النارية التي كانت تتخفى تحت اسماء شتى مثل « أبو وائل » و « سليمان الحكيم » و «أبوقراط» .. وكانت في معظمها مقالات نارية تندد بالاستبداد وتندد بالظلم والتعسف بصورة لا مباشرة .. كما عرفت الحكمة ألوانا من الدراسات المستنيرة الهادئة التي كان يقوم باستقطابها من البحوث العالمية بعض المفكرين الاحرار امثال احمد الحورش الذي طرق موضوعا هاما من نواحي الحياة القاسية التي لا تزال اليمن تفتقر الى المزيد من الدراسات فيها حتى اليوم .. وهو موضوع التربية والتعليم فظل يسلسله مستعينا بكتابات « روسو » عن التربية ومستعينا بأقوال افلاطون ، وظل يتتبع هذا الموضوع منذ نشوئه حتى العصر الحديث .. ولقد كان الحورش في تلك الآونة طالبا في مدارس بغداد .. ولقد عاصر الحورش في العراق ورأى بعينيه تلك السلسلة من الاحداث التي اجتاحت العراق في تلك الفترة المظلمة « ٣٧ ـ ٤١ » .. ومن هنا استمد ثوريته وعنفه وآمن بالحق والعدل للشعب العربي الراسف في الاصفاد المتوكلية .

وكانت « أغلفة » الحكمة دائما مليئة بحكم دائمة وضعها الوريث .. ولكنها حكم مفيدة .. تعبر عن تقدمية كبرى وايمان بأن الوطن العربي الكبير هو وطن واحد وليس « عالما » كما لفظه انصار التجزئة والعملاء .. وبأن الامة العربية هي الامة الواحدة وليست «مجموعة الشعوب» .. لقد كان الوريث تقدميا الى حد كبير وكان احمد المطاع كثيرا ما يستشهد بأقوال العالم الغربي « رتشارد كوك » الذي نفى وجود أمة من الامم أسهمت في بناء الحياة كما اسهمت الامة العربية .. لهذا نجد الغلاف الاخير من « الحكمة » يحرص على ابراز ديمومة الوطن العربي الواحد والامة العربية الواحدة في حكم صغيرة دسها الوريث خلسة عن أعين المستبدين .. ومن هذه الحكم الصغيرة مثلا :

« الوطن العربي مهد الحضارة ومنبت اساطينها قديما فيجب ان يسترد تراثه السالف بجهود ابنائه حديثا » .

« الامة العربية السعيدة لا تقبل على ظهرها مستعمرا ولا تستطيع اجواؤها ان تراه » .

وهكذا كانت « الحكمة اليمانية » ـ بفضل الوريث ـ طليعة أدبية ثائرة .. ففي عام ١٩٤٨ اندلعت في اليمن أول ثورة عربية ضد الظلم والاستبداد شاركت فيها العروبة ممثلة في البطل العراقي الخالد جميل جمال والبطل الجزائري الفضيل الورتلاني وحمل النصيب الاكبر في هذه الثورة رجال الفكر والادب .. وهم انفسهم الذين اسهموا بالمقالات الجدية الهادفة تنوير الشعب وتقويض العرش المتوكلي العفن ..

ولم يكن غريبا عندما انتصر الجلاد احمد حميد الدين ان يذبح الذين اشتركوا في الثورة ..

لقد ذبح أحمد المطاع ، وذبح الشاعر زيد الموشكي ، وذبح احمد الحورش ، وذبح البراق وذبح الشماحي .

وكل هؤلاء شاركوا في تحرير المجلة العربية الثائرة ـ « الحكمة اليمانية » .. أو مجلة الشهداء العرب .. أول مجلة تستشهد في سبيل الحرية ..

ومنذ ذلك اليوم زاد عدد الاحرار ألوفا يصنعون في الظلام فجر « أيلول » العظيم ..

محمد الزرقه

(٦) الحكمة اليمانية ـ العدد الرابع ـ السنة الثانية .

دار الثقافة تقدم

الثمن	
١٠٠٠	تاريخ المغرب في القرن العشرين ، تأليف روم‌لاندو ، ترجمة : الدكتور نقولا زياده
١٠٠٠	التطورات السياسية في المملكة المغربية، تأليف دوجلاس اي. اشفورد ، ترجمة الدكتورة عائدة سليمان عارف والدكتور احمد مصطفى ابو حاكمه
٨٠٠	افريقيا تحت اضواء جديدة ، تأليف : بازل داقدسن ، ترجمة : جمال م. احمد .
٥٠٠	آراء فرد من الشعب ، تأليف عبد الكريم الجهيمان
٢٠٠	من وحي الثورة الجزائرية ، تأليف الجنيدي خليفه
٥٠٠	الشيخ أحمد ابو خليل القباني ، جمع وتقديم الدكتور محمد نجم
٤٠٠	احاديث القرية ، طبعة جديدة ، مارون عبود
٤٠٠	على المحك ، طبعة جديدة ، مارون عبود
٧٥٠	قبل المغيب ، طبعة جديدة ، الدكتور جورج حنا
٢٠٠	على أبواب السماء ، طبعة جديدة ، الدكتور جورج حنا

تطلب جميع هذه الكتب من الناشر :

دار الثقافة ـ ص. ب ٥٤٣ ـ بيروت